مهرجان ربيع مسرح الأطفال الثالث:

طموحات كبيرة وإمكانيات متواضعة وعروض مكررة

لقطة من مسرحية «أبو الثعالب»

لقطة من مسرحية «حكايا المهرج»

دمشق ـ «القدس العربي»

من أنور بدر:

للعام الثالث على التوالي، تنطلق فعاليات مهرجان ربيع مسرح الأطفال بالتزامن مع العطلة الإنتصافية للعام الدراسي، مما يسمح لأكبر عدد من الأطفال وطلاب المدارس بمتابعة هذه الفعاليات والعروض التي بدأت يوم الجمعة المنصرم في 2006/1/6، بكرنفال الربيع الذي انطلق من أمام محافظة دمشق متجهاً نحو مسرح الحمراء، وقد تضمن الكرنفال عروض مهرجين وألعاب أكروبات، إضافة للفرقة النحاسية.

بالعودة إلى جدول العروض الموزع نكتشف أنه تضمن 22 عرضاً، توزعت على مسرح الحمراء والمراكز الثقافية المنتشرة في 12 محافظة سورية، بعد أن بدأ المهرجان في مدينة دمشق، ثم توزع العام المنصرم على أربع محافظات هي دمشق، حلب، اللاذقية، الحسكة، لكن المهرجان هذا العام سعى لتغطية كافة المحافظات السورية باستثناء محافظتي أدلب والرقة، دون أن يكون التبرير المالي مقنعاً لهذا الاستثناء، خاصة وأن محافظة الرقة تمتلك مديرية للثقافة نشطة جداً، وفيها مسرح مؤهل لتقديم العروض الضخمة، بينما محافظتا حمص وطرطوس لا تزال مراكزهما الثقافية قيد الترميم والإعداد، ومع ذلك نقل عرض حمص إلى قصر الزهراوي، فيما نقل عرض طرطوس إلى مدينة بانياس، مع أن مسرحية خاصة باسم «كأس وقضية» لفرقة «طائر الفينيق» تعرض في المركز الثقافي بطرطوس في ذات الفترة.

كما نلاحظ أن بعض المحافظات كان من نصيبها عدد أكبر من العروض، وفي بعضها توزعت العروض على أكثر من بلدة أو مدينة، فيما اكتفت محافظات أخرى كدرعا، والسويداء، وطرطوس، وحمص، ودير الزور، بعرض يتيم دون أن يتناسب ذلك مع عدد السكان أو النشاط الثقافي لهذه المحافظة، إذ تغادر ثلاثة عروض من دمشق إلى محافظة القنيطرة، فيما تكتفي اللاذقية بثلاثة عروض محلية، ويكون نصيب محافظة حلب عرضين فقط، وواحد لمدينة حمص!

***

في مؤتمر صحافي سبق المهرجان تحدث وزير الثقافة الدكتور محمود السيد والفنان جهاد الزغبي مدير المسارح والموسيقى في الوزارة، عن فعاليات ومناشط المهرجان، مؤكدين على الطموحات الكبيرة بأن يغطي مساحة كل المحافظات السورية العام القادم، وأن يتحول من مهرجان محلي إلى مهرجان عربي أسوة ببقية المهرجانات المشابهة في الدول العربية.

وأضاف الأستاذ الزعبي نقطتين، الأولى منهما بدت تبريراً لسؤال ملح حول العروض المكررة، حين دعا إلى المحافظة على العروض الجيدة وإسقاط الرديء منها، علماً أن نصف عروض هذه الدورة مكررة من العام المنصرم وبشكل خاص عروض المهرجان السابق، فيما تكاد تقتصر العروض الجديدة على عروض المحافظات والمراكز التي تشارك لأول مرة في هذا المهرجان.

النقطة الثانية والأهم في حديث الزغبي تتعلق بمحاولة الخروج عن المدى الزمني للمهرجان، بحيث لا نقدم مسرحاً للأطفال في العطلة الإنتصافية فقط، لتغيب عنهم العروض بقية العام، بل تستمر الفعاليات أو العروض الجيدة على مدار العام، وبشكل خاص في أيام العطل الأسبوعية، أي الجمعة والسبت تحديداً، وباقي العطل والمناسبات الاحتفالية.

كما أعاد تذكيرنا بالمسرح الجوال الذي سبق له إدارته حين دخل في سبات شتوي لم يستيقظ منه بعد، لكن المديرية قد تلقي إليه بمهمة التجوال قريباً في عروض الأطفال، وبث إلينا نبأ استقبال عربيتين يمكن من خلالهما تركيب وفك مسرح كامل مع مدرج للعرض في فترة زمنية قصيرة، بحيث يمكن نقل العروض إلى أماكن قصية، أو إلى مواقع أثرية وسياحية مثلاً.

***

مقابل الطموحات الكبيرة للمديرية والدعم اللامحدود من قبل الوزارة لكل المناشط الثقافية والترفيهية المتعلقة بالأطفال، أيقظنا المخرج عبد الحميد خليفة من ثبات مملوء بالأحلام الوردية، وهو كاتب ومخرج العرض اليتيم في محافظة درعا «جواهر الأميرة السبع»، حين تحدث عن عرضه المبرمج بعد ثلاثة أيام من تاريخ المؤتمر الصحافي، ومع ذلك لم يتسلم بعد الديكور والأزياء، فيما الموظف الإداري يحيل الموضوع إلى شيك في الوزارة ينتظر توقيع الوزير، بينما الوزير يعلن أنه يوقع يومياً كل ما يصله من المديرية، لكن المخرج خليفة أحرج الجميع وهو يؤكد أنه في هذا الصباح ـ من المؤتمر ـ دفع ثلاثة آلاف ليرة من جيبه الشخصي لتأمين أزرار لزوم أزياء العرض التي لم تأت بعد!.

الزميل موسى الأسود خريج قسم الدراسات المسرحية في المعهد العالي للفنون المسرحية، حاول البحث عن أساس الإشكالية في أزمة مديرية المسارح والموسيقى، في غياب التنسيق مع المسرح المدرسي ومنظمات الشبيبة والطلائع، في مهرجان يقام للسنة الثالثة بدون ميزانية مستقلة، مع أن السيد الوزير أكد أن وزارته تغطي نفقات المهرجان!.

المشكلة أن للمهرجان وظيفته احتفالية، ومن هذا المنطلق تحاول المديرية ومعها الوزارة أن تحافظ عليه، ولكن أي مهرجان أو مسرح للأطفال في ظل غياب المسرح ككل أو ترديه في الآونة الأخيرة؟ أي مسرح أو مهرجان في ظل البيروقراطية وضغط النفقات الثقافية؟ أين المسرح المدرسي من طلابنا ومدارسنا؟ وأين مسرح الطفل من حياتنا ومنظماتنا؟ أم أن الوظيفة الاحتفالية كما كل التظاهرات الثقافية الأخرى تكفي المؤمنين شرّ القتال؟ وتكفي المديرية شرّ المسرح؟!.

واضح أن المديرية خرجت للتو من احتكار السيد زهير رمضان لتدخل في مخاض لم تتبلور ملامحه بعد، لكن الأزمة الثقافية في سورية تبدو أكبر من أزمة المديرية وأكبر من طموحات المدير الجديد.

***

مع ذلك، ورغم كل الملاحظات السابقة، فلا يسعنا إلا الإشادة ببعض الأعمال المكررة التي تركت صدىً إيجابياً في عروضها السابقة، وخاصة «أطفال يعدّون مسرحهم» أو عرض خيال الظل «الفتاة النشيطة» لذكي كرديلو، أو مسرح العرائس «أبو الثعالب» لمحمد خير عليوي. و«حكايا المهرج» لعدنان سلوم مدير مسرح الطفل في المديرية.

الملاحظة الإيجابية تتجلى في تنوع المناشط المسرحية لهذا المهرجان، ما بين مسرح الأطفال ومسرح العرائس، وما بين خيال الظل والدمى، وبعضها يتداخل فيه أكثر من لون مسرحي. إلا أن الأهم هو مشاركة عرض خاص لفرقة «ليش» باسم «مومو» وهو من إعداد وإخراج نورا مراد التي تصرّ على إيجاد مساحة تتنفس فيها على خشبة المسرح هي وفرقتها التي عانت من عدائية المديرية لها ولكل الفرق الخاصة سابقاً.

كما تقيم مديرية المسارح والموسيقى، بالتعاون مع مديرية ثقافة الطفل في الوزارة مسابقة النصوص المسرحية للشباب والأطفال، يشارك فيها الشباب من سن 15 سنة وما فوق، وتتحدث عن حقوق الطفل أو المشكلات التي تعترضه في حياته اليومية، في المنزل أو المدرسة أو الشارع ... الخ. ويشارك فيها الأطفال من سن 9 ـ 15سنة بمواضيع يعبرون فيها عن همومهم ويمكن لهم الاستعانة بقصص أسطورية متوارثة ضمن إطار النص المسرحي.

على أن ترسل النصوص المسرحية إلى وزارة الثقافة ـ مديرية ثقافة الطفل في موعد أقصاه 2006/4/25 وتعلن النتائج بتاريخ 2006/6/25 المصادف لليوم العالمي للطفل.

وعلى هامش مهرجان ربيع مسرح الأطفال الثالث ستقام ورشة عمل مع الأطفال من خلال ندوة يديرها الفنان جهاد الزغبي مدير المسارح والموسيقى مع الكاتب والمخرج المسرحي فرحان بلبل، وذلك على مسرح الحمراء بدمشق، وعلى مسرح الزهراوي بحمص.

كما ستعلن مديرية ثقافة الطفل عن مسابقة للقصة والشعر والمقالة في الشهر الثاني من العام الجاري، وستعلن شروطها في حينه.

المخرج عبد الحميد خليفة

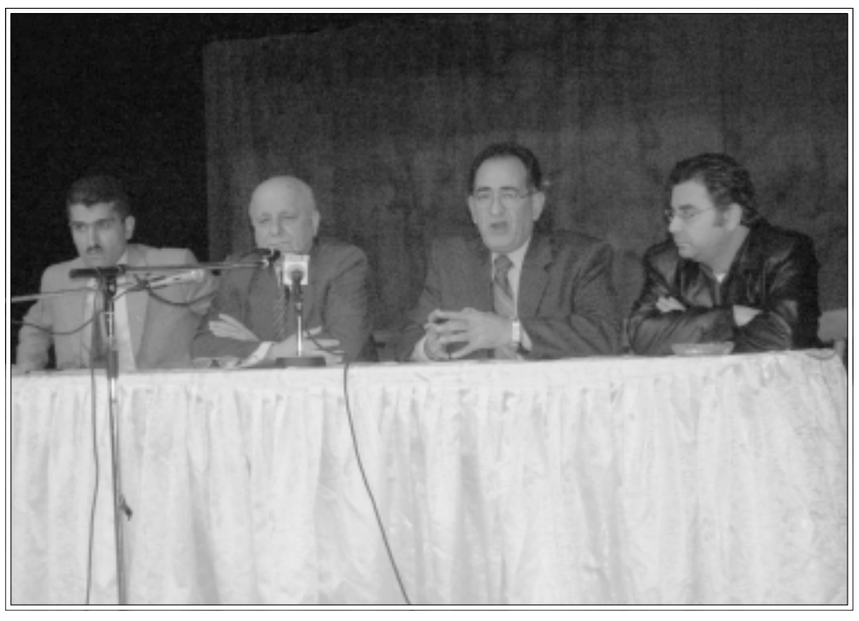

وزير الثقافة السوري محمود السيد والفنان جهاد الزغبي في المؤتمر الصحافي

عام 2005 في فلسطين: لا سينما ولا يحزنون!

صبحي الزبيدي*

في اواخر عام 2004، دعانا وزير الثقافة السيد يحيى يخلف الى اجتماع عاجل في الوزارة. كنا مجموعة من المخرجين/ات والمهتمين/ات بالسينما. الاجتماع كان اشبه بورشة عمل الهدف منها تحقيق نبوءة الوزير بان يكون عام 2005 عاما للسينما الفلسطينية. من ضمن الافكار التي طرحت ـ تشكيل صندوق لدعم السينما الفلسطينية، تأسيس مهرجان دولي للافلام في فلسطين، تشجيع الطاقات والمواهب....الخ. من ضمن النشاطات التي شاركت فيها انا شخصيا هو انضمامي للجنة اكن الاحترام لكل عضو فيها، مهمتها الاشراف علي المهرجان الدولي وتكريس المهرجان كمؤسسة محترفة تشتغل طوال السنة في نشاطات من شأنها دعم الانتاج والثقافة السينمائية. في بدايات عام 2005 بدأنا الاجتماعات بنشاط، في منتصف عام 2005 خفت وتيرة الاجتماعات، في نهايات عام 2005 توقفت الاجتماعات بشكل كامل. لأكثر من تسعة اشهر استمعنا الى وعود وزارة الثقافة بان تقدم مبلغ عشرين الف دولار او عشرة الاف دولار او خمسة الاف دولار من اجل ان تستطيع لجنة المهرجان استئجار مقر، او توظيف شخص واحد على الاقل للتفرغ لامور المهرجان. ولكن هذا لم يحدث.

ها قد ودعنا عام 2005، وللأسف اقول ان شيئا واحدا لم يتحقق من جملة الاحلام والوعود التي كررناها في اجتماعاتنا المختلفة. لم يتأسس صندوق للسينما الفلسطينية، لم ننجح في تأسيس مهرجان دولي للافلام، بل لم يكن هناك اي نشاط استثنائي يمكن ان نقول انه ساهم في تطوير السينما الفلسطينية. حتى المنحة الثقافية الفلسطينية (الاصح ان نقول انها منحة نرويجية لدعم نشاطات ثقافية تم توزيعها باشراف وزارة الثقافة) لم تعن هذه المنحة باعطاء اي خصوصية او اولوية للسينما الفلسطينية، وكل ما اعطي للسينما هو مبلغ 15 الف دولار، منها عشرة الاف دولار كمنحة لفيلم وثائقي، وخمسة الاف منحة للسيدة ميسر ابو علي من اجل تأليف كتاب عن السينما الفلسطينية. تصوروا ان المنحة الثقافية الفلسطينية لم تمنح مهرجان فلسطين الدولي ولو مبلغ خمسة الاف دولار... هل يعقل هذا؟ هل يعقل ان يغيب عن ذهن اللجنة اهمية هكذا نشاط، وهل نستطيع ان نسامح وزارة الثقافة على هكذا تناقض؟ من جهة يعلن الوزير ان عام 2005 هو عام السينما ويدعونا الى تشكيل لجنة للتأسيس لهذا المهرجان، ثم نتقدم كلجنة مهرجان بطلب دعم من المنحة الثقافية ولكننا لا نحصل عليها. اي سيناريو سيء هذا؟ اي كابوس؟

خذوا الندوة التي سماها رئيس الوزراء ووزير الثقافة بـ (العرس الثقافي الفلسطيني) والتي نظمت بالتعاون مع المجلس الاعلى للتربية والعلوم ومنظمة الامم المتحدة والعلوم والثقافة ـ اليونسكو ـ والتي فيها وضعت وزارة الثقافة ما تسميه (استراتيجية الثقافة الفلسطينية) لم ترد كلمة سينما في التقرير المنشور في الجرائد المحلية (الحياة الجديدة والايام) ولا اعرف ان كانت كلمة سينما وردت في الندوة بشكل عام. ولكني اعرف بالتأكيد ان اي سينمائي فلسطيني او عامل في حقل الثقافة لم يتقدم بورقة عمل او تصور فيما يخص السينما. مع ان السينما بالذات واكثر من اي مجال ثقافي اخر هي ما يحتاج الى رؤية واستراتيجية لان الفوضي تعم. كثير من المؤسسات الثقافية اخذت على عاتقها عقد ورشات عمل سريعة وبتمويل اجنبي تنتهي هذه الورشات كل مرة بميلاد خمسة او ستة مخرجين جدد. لا يوجد في فلسطين فني اضاءة واحد محترف. لا يوجد مصور سينمائي واحد يستطيع ان يشغل كاميرا 16 ملم. لا يوجد مونتير محترف، لا يوجد كاتب سيناريو محترف. لا توجد مكتبة سينمائية محترفة.. لا، لا، لا يوجد. ما يوجد لدينا هو مخرجين ومخرجات، وورشات عمل تعيد وتكرر نفسها. اخر اعلان في الصحف المحلية جريدة «القدس العربي» اعلان عن ورشة عمل سينمائية احتوى على المعلومات التالية (على رأس الصفحة شعار USAIDوشعار EDC وشعار دار الندوة الدولية. السطر التالي: هل ترغب / ترغبين في تعلم عمل الافلام؟ السطر التالي: محتويات الدورة: الموضوع والبحث، النص، التصوير، الاضاءة والصوت، الاخراج، المونتاج، الانتاج والتسويق. اوقات الدورة من 12/5 الى 1/14. شروط الانتساب: من العاطلين عن العمل.. لم يحظوا بفرصة الحصول على التعليم الجامعي.

تصوروا انه سوف يتم تعليم كل هذه المواضيع في مدة شهر لعاطلين عن العمل لم يحصلوا على تعليم جامعي! انا احترم حق الجميع في الحصول على عمل وعلى فرصة تعلم ولكنني احترم ايضا من يحترم الاصول. لا يوجد في العالم مدرسة سينما تستطيع ان تدرس بهذه السرعة كل هذه المواضيع السينمائية لطلاب ليس لديهم تعليم جامعي. لم اسمع في حياتي بهكذا استخفاف في المهن السينمائية مثلما يحدث عندنا.

بسبب هذه الظاهرة وظواهر اخرى كثيرة تعيق تطورنا السينمائي نحن بحاجة الى رؤية واستراتيجية من اجل دعم السينما الفلسطينية. ويجب ان نكف عن اختزال مشكلة السينما بالتمويل. التمويل عامل اساسي ومهم، ولكن الطاقات والكوادر والثقافة السينمائية هي الاساس الذي يجب ان نركز عليه. نحن نعرف ان ميزانية وزارة الثقافة هي اقل من واحد في الالف من ميزانية الحكومة الفلسطينية، لذلك لا احد يتوقع من وزارة الثقافة ان تمد السينما بميزانيات، ولكن هناك الكثير الذي تستطيع وزارة الثقافة انجازه فيما يتعلق بتطوير السينما. وزارات الثقافة الاسرائيلية المتعاقبة استطاعت عقد اتفاقيات مع دول اوروبية عديدة تم بموجبها توفير مصادر دعم هائلة للسينما الاسرائيلية. عام 2005، اتفقت اسرائيل مع كندا على أن تقوم الاخيرة بدعم انتاج ما لا يقل عن ثلاثة افلام طويلة كل سنة. اسرائيل هي المستفيد الاكبر من الاتفاقيات السينمائية لدول حوض البحر المتوسط، ولا اعرف لماذ لم يتم حتى الان الاستفادة ولو من اتفاقية واحدة على الاقل. سمعنا عن الكثير من المباحثات التي قام بها وزير الثقافة السابق والحالي، ولكننا لم نر اي اتفاقيات ولا ثمارا لمباحثات من شأنها دعم المشهد السينمائي. انا لا اشكك في نوايا وزير الثقافة تجاه السينما ولكن النوايا الطيبة لا تكفي. الوعود لا تكفي. انتظار تمويل من الخارج لا يكفي. علينا المبادرة، وعندما نبادر علينا المتابعة.

انا واحد من الناس المقتنعين تماما بان اهم ما يحدث فلسطينيا يحدث في الثقافة، وبالذات في السينما ولا اشعر بانني ابالغ اذا قلت إنه وفي غضون عقد من الزمان فان السينما الفلسطينية سوف تكون محط اهتمام عالمي تماما مثلما هو الحال الان بالنسبة للسينما الايرانية. السينما الفلسطينية في تطور مستمر من حيث تشكيل لغة سينمائية مختلفة، ومن حيث دورها في ردم هوة التفاهم والتواصل مع العالم والتي خلقها سياسيونا. اهم من كل هذا، اعتقد ان السينما الفلسطينية سوف تلعب دورا مهما في تنويع مصادر تشكيل الهوية الفلسطينية بالنسبة للفرد وللجماعة. في السينما بامكاننا ان نتخيل، بامكاننا ان نذهب الى كل الاماكن الممنوعين من الذهاب اليها، في السينما نستطيع رسم فلسطين من دون جدار، من دون حواجز من دون تقسيم، في السينما سوف تنمو ذاكرتنا مثل طفل صغير. في السينما لن نصغي لبروتوكولات الاتفاقيات السياسية التي تملي علينا مناهجنا الدراسية ونشرات اخبارنا. في السينما سوف نجد كل الحرية المحرومين منها.

لهذا اشعر ان الاهتمام بالسينما يجب ان يكون مميزا وعلى رأس اولوياتنا. ليس عندي وصفة لكيفية جذب قوة رأس المال الفلسطيني ولا قوة السياسة من اجل ان تصب في دعم السينما. ولكني اؤمن بأن مشروعنا السينمائي سوف يبقى رهينة المنح الخارجية اذا لم نستثمر فيه محليا. مشروعنا السينمائي لن يكتمل دون اهتمام رأس المال الفلسطيني. حتى الان لا يوجد فيلم روائي فلسطيني 100%، لم تنتج فلسطينيا فيلما روائيا واحدا. حتى الان لا يوجد اسم مستثمر واحد او شركة خاصة او مؤسسة فلسطينية على قائمة مموليي اي من الافلام التي نعتبرها فلسطينية. الاسوأ من كل هذا ان السلطة الوطنية الفلسطينية وكل مؤسساتنا الحكومية وغير الحكومية لم تنجح حتى الان في اعادة فتح دور السينما التي اغلقت منذ الانتفاضة الاولى. لا في القدس ولا في غزة ولا في اريحا ولا في الخليل ولا في جنين يوجد دور سينما؟ هل يعقل هذا؟

* سينمائي من فلسطين

سؤالي لأحمد عبد المعطي حجازي:

لماذا يُغَيِّرُ بعضُ المُبدعين الكبار مواقفَهم!

د. نبيه القاسم *

■ أرّقني هذا السؤال منذ سنوات بعيدة، فأن يتقلبَ الصغارُ في مواقفهم المَبدئية والسياسيّة والاجتماعيّة أمر مفهوم ومغفور ولا أحد يُحاسبهم عليه.

ولكنّ الكبارا؟ كيف نقبل منهم ذلك؟ وأيّ عذر نجدُ لهم ؟.

أحترم كلّ مبدع، على تمسكه ومُحافظته ودفاعه عن مواقفه وآرائه واقتناعاته التي يؤمن بها مهما اختلفت معه وعارضته. لكنني أرفض تقلبّات وتغيّرات ومواقف وآراء واقتناعات هذا المبدع مع كلّ تقلبات وتغيّرات في الزمان والمكان والظروف التي تُحيط به.

كانت صدمتي الأولى بكاتبنا ومُعلمنا إميل حبيبي الذي فاجأنا بمواقفه المُرْتَدّة عن كلّ ما علمَنا، وإعلانُه أنّه لم يعد يستطيع حَمْلَ بطيختين في يد واحدة، وينصح كلّ مبدع ألاّ يكونَ مُلتزما بأيّة نظريّة .. «لأنّها تحدّ إبداعَه وتمنعه من الانطلاق».

يومها كتبت تحت عنوان: «حتى لا نفقد البَصرَ والبَصيرةَ معا»:

«كأنّي بيعُاد الحيفاريّة وقد التقت عائدَ الميعاري في أحد زقاقات تل الزعتر ـ إنْ كانَ هناك تل زعتر الآن ـ تصيحُ باكية:

ـ ضيّعنا الكبارُ صغارا وحمّلونا وزْرَهم كبارا، وإذْ نفَضنا أجنحتَنا رَجَمونا بحجارتهم فأدمونا.

فيجيبها عائد بألم:

ـ قد أفهم أنْ يَعقّ الأبناءُ آباءَهم .. أمّا أن يكونَ العكس فهذا مستحيل.!

وتبتسم يُعادُ من بين الدموع قائلة:

ـ أخشى إذا عدتُ أجد سجينَ زندا المنتظر قد غشيَ بصرُه فضلّ الطريق.

وعزّاها عائد بقبلة على خدّها وقال:

ـ قد تفقدُ المناقيش طعمَ الزعتر.. وقد أغيّر سروالي فألبس الجينز على طريقة رعاة البقر، لكنّ ثقتي لن تتزحزحَ بأنّ البذرةَ الطيّبة في الأرض الطيّبة هي الباقية». (الاتحاد 13 آذار ـ مارس 1991).

ثم كانت صرختي، التي لامني عليها كثيرون وحيّاني الكثيرون، يوم خاطبتُ محمد مهدي الجواهري الشاعر الكبير قائلا: «الجواهري الكبير .. يا خسارة.» (الاتحاد 1992/12/11) على أثر ذلك المشهد المثير، حيث وقف ضعيفا مستجديا، يُنشد بين يديّ وليّ النعمة قصيدةَ مَدْح ذكّرتني باستجداءات المتنبي الذي غفرَ له زمنُه ذلك.

وتمنيّتُ الموت، قبل سنوات، لعبد الوهاب البياتي يوم التقيتُه في عمان في حفَل عشاء ضمّ العشرات من شعراء وكُتّاب عرب صيف 1996، حيث جلس في مكان جانبي على طاولة العشاء دون أنْ يهتمّ به أحد أو يدعوه لتصدّر الطاولة، وثم وأنا أراه يخرجُ إلى الشارع وحيدا في نهاية حفل العشاء وقد أنهكته السنون وغدرَه الزمن.

لقد عاش جيلنا عصرَ الأحداث الجسام، زمن حركات التحرر العربية والعالمية وتحرر الشعوب في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وانحسار الاستعمار، وعاصر الرجال الكبار الذين فرضوا وجودَهم وغيّروا منحى الأحداث وتركوا بصماتهم على التاريخ.

وحفظنا وردّدنا كلمات وأشعار كبار الشعراء والكُتّاب.

ولهذا كانت صدمتي كبيرة كذلك عندما سمعت الشاعر محمد الفيتوري في لقاء تلفزيوني معه، يتفاخرُ بمواقفه المُناهضة لكل ما عرَفناه عنه.

وكانت أخيرا تصريحات الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في مقابلة له نُشرت في جريدة «الحياة» يوم 2004/12/24 يُعلن فيها تراجعَه عن كلّ مَواقفه السياسية والفكرية التي آمنَ بها وغادرَ بسببها مصر لسنوات عديدة، زمن السادات، ويؤكّدُ تخلّيه عن إيمانه القديم بالتجربة الناصريّة، ويؤكدُ أنّ جمال عبد الناصر لم يكن أكثرَ من ضابط أسّس لشرعيّة الانقلابات العسكريّة في عالمنا العربي.

ولم أصدّق ما قرأت، أيمكنُ أنْ يقولَ هذا الكلامَ الشاعرُ الذي قال في جمال عبد الناصر أجمل الكلمات والقصائد!؟

أعرف أنّ العديد من المصريين يحقدون على عبد الناصر ويتهمونه بأنه أهملهم وانشغل بقضايا الشعوب الأخرى وبالقضيّة الفلسطينية على حساب معيشة ورُقيّ وتطوّر الشعب المصري.

ولكن أن يقول هذا الكلام أحمد عبد المعطي حجازي!؟

أهكذا ينظرُ أحدُ كبار مُبدعي مصر إلى جمال عبد الناصر، أحد أكبر زعماء العالم في العصر الحديث، الرجل الذي غيّر وجهَ العالم، وأعطى الثقة والحلم والأملَ للشعوب المَقهورة المُستعمَرة؟

لقد التقيتُ أحمد عبد المعطي حجازي آخرَ مرّة قبل سنتين في القاهرة في احتفال مجلة «أدب ونقد» بمناسبة مرور عشرين سنة على صدورها، واستمعتُ إليه يُلقي شعرَه، وتبادلنا الحديث في الشعر والأدب.

وسؤالي الآن: كيف سأقابله في المرّة القادمة وأيّ حديث سوف نتبادله وقد صدّعَ ذلك الموقعَ الذي كنتُ أراه وأحترمه عليه؟

أبمثل هذه السهولة يتنازلُ شاعر كبير عاش عمرَه مناضلا مؤمنا واثقا من صواب دربه، ويتخلّى عن كلّ ماضيه، ويَنْعتُ، بمثل الكلمات التي قالها، الرجلَ الذي أعادَ للأمّة العربية اعتبارَها واحترامَها ومكانتها، وكان حلمَ وأملَ الشعوب المُستعمَرة الضعيفة؟

أحمد عبد المعطي حجازي.. الشاعر الكبير الذي أحببتُ وحفظتُ كلماته. ليس لي ما أقوله لك إلاّ ما قلته للجواري الكبير:

ـ أيّها الشاعر الكبير .. يا خسارة.

* كاتب من فلسطين